رأس المال البشري بين مقومات النهوض وهجرة الكفاءات العراقية.

م. د زاهد قاسم بدن

كلية الادارة والاقتصاد / قسم الاقتصاد

الايميل: zihadibadan@yahoo.com

التلفون : ٠٧٧٠٧٣٤٣٨٤٨

م.م إيهاب عباس الفيصل

كلية الادارة والاقتصاد / الاقتصاد

المقدمة:

يعد رأس المال البشري ميزة كبرى لتحقيق التنمية في أية دولة حتى اذا لم تكتلك الموارد المتمثلة بالثروات فهي تمتلك اسمى مورد وهو المهارات والمعارف البشرية كما هو الحال في اليابان ، فهجرة ذوي الكفاءات العالية والعلماء والمهنيين تسمح للدول التي استقبلتها بتنمية قدراتها العلمية ، وهذا يسمى النقل المعاكس للتكنولوجيا الذي تمارسه الدول المتقدمة ، مما اثر بشكل كبير على الدول النامية وعمق حالة الاختلال وعدم التوازن وتوسيع الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية ، تؤكد النظريات الاقتصادية بشكل عام على الدور الكبير والبارز الذي يمكن ان يلعبه راس المال البشري في تنمية الاقتصادات خاصة وان العديد من التجارب في البلدان المختلفة قد اثبتت اهمية راس المال البشري كثروة طبيعية فالكثير من البلدان كانت قد تفوقت حضارياً وثقافياً وعلمياً بسبب النجاحات التي حققتها في مجال الاستثمار في الموارد البشرية في حين فشلت بلدان اخرى في تحقيق هذا النجاح.

وفي ظل السعي المتواصل لكثير من البلدان في بناء ملاكات علمية قادرة على النهوض بواقع اقتصاداتها يصبح من الضروري بمكان دراسة ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية ومن ثم دراسة ابعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والاسباب التي تقف وراءها كونها تتصل بالمنظومة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.

ان ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية هي ظاهرة عالمية تحدث في جميع البلدان حتى المتقدمة منها ولهذا السبب اصبحت هذه الظاهرة هاجساً مخيفاً لكل الحكومات ومنظمات المجتمع على حد سواء. لما تسببه من خسائر مالية كبيرة على المستوى الاقتصادي، وما ينطبق على جميع البلدان في موضوعة الهجرة ينطبق على العراق في الوقت الذي يشهد فيه العراق هجرة كبيرة لكفاءاته العلمية، اذ تكمن المشكلة الاساسية في رغبة الكفاءات العلمية في العمل في البلدان المتقدمة بسبب حالات عدم الاستقرار الامني فضلاً عن الضغوطات التي تقف عائقاً امام الاهتمام بهذه الكفاءات او حتى عدم اتاحة الفرصة امامها للبحث والابداع والتطوير.

اهمية البحث: تنبع اهمية البحث في كونها تمثل دراسة تحليلية تناقش وبشكل مفصل تكوين رأس المال البشري وظاهرة هجرة الكفاءات والمخاطر الكبيرة الناجمة عنها خاصة الاقتصادية منها.

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها: ان تكوين رأس المال البشري هدف لتحقيق التنمية ولكن هجرة الكفاءات العراقية تشكل خطراً كبيراً وعائقاً امام مستقبل التنمية الاقتصادية في العراق، خاصة وانها لا تزال تشهد تزايداً من حيث نطاقها وتعقيدها وتأثيرها.

هدف البحث: يهدف البحث الى:

١- معرفة مقدار رأس المال البشري في العراق

٢- تسليط الضوء على حقيقة هجرة الكفاءات وتحديد اشكالها بهدف الوقوف على اسبابها.

٣- التركيز على البعد الاقتصادي لهذه الظاهرة كون الاسباب التي تؤدي لها تختلف من بلد الى اخر.

٤- وضع جملة من المقترحات التي من شانها الحد من هذه الظاهرة.

أولاً :- مفهوم رأس المال البشري

العديد من أدبيات التنمية ترجع اهتمام علم الاقتصاد بقضية رأس المال البشري(Human Capital) إلى الكتابات الأولى لأدم سميث(A. Smith) والفريد مارشال(A. Marshall) في نهاية القرن الـ(١٨) ،إلا أن هذا الاهتمام قد اكتسب زخما شديدا منذ بداية عقد الستينات من القرن الـ(٢٠) ، حيث أوضح سيمون كوزنتس(S. Kuznets) أن ما يقارب من(٩٠%) من النمو الاقتصادي الذي حققته الدول الصناعية خلال عقد الخمسينات يرجع في الأساس إلى تحسين قدرات الإنسان والمعرفة والتنظيم الأمر الذي أدى إلى التميز بين الجانبين الكمي والكيفي للبشر والحديث عن رأس المال البشري والاستثمار في البشر .

هكذا ظهر مفهوم رأس المال البشري باعتباره جزء لا يتجزأ من استراتيجيات النمو الاقتصادي، وفي ذلك يقول (Theodore Schultz) أن رأس المال البشري قد نما في المجتمعات الغربية بمعدل أسرع من رأس المال التقليدي ، وان هذا النمو كان احد أهم السمات التي ميزت النظام الاقتصادي في تلك الدول ، وانتهى شولتز إلى أن فكرته الأساسية عن رأس المال البشري قادته الى فكرة الاستثمار في رأس المال البشري بمعنى الاستثمار في تعليمهم وفي صحتهم وفي تدريبهم وفي تنمية مهاراتهم التنظيمية والإدارية .[١].

لا شك أن الإسهامات الرائدة للاقتصادي المعروف غاري بيكر(Gary Becker) قد ساهمت إلى حد بعيد في انتشار فكرة رأس المال البشري ، حيث فرق بيكر في هذا الصدد بين نوعين

أساسيين من التدريب ، تدريب عام(General Training) وتدريب متخصص(specific Training) في حين يستفيد العامل بدرجة اكبر من النوع الأول من التدريب (رأس المال البشري) فان المنشأة هي المستفيد الأكبر من النوع الثاني ، ومن ثم يكون من المنطقي أن يتحمل العامل الجانب الأكبر من تكلفة التدريب العام بينما تتحمل المنشأة كل أو معظم التكلفة في حالة التدريب المتخصص.

كما انه لا يمكن اغفال الدور الرئيسي الذي لعبته الكتابات الهامة للاقتصادي الهندي الشهير آما رتيا سن(AMARTIA SEN) في الترويج لمفهوم رأس المال البشري ،ان التنمية عند آما رتيا سن كانت تعني ببساطة تحسين القدرات البشرية من خلال منظومة متكاملة من التكنولوجيات الحديثة والمؤسسات الداعمة والقيم الاجتماعية الرصينة التي تشجع جميعها إذكاء روح الإبداع والتميز داخل الإنسان .

وعلى الرغم من شيوع استخدام مصطلح رأس المال البشري في عدد من الكتابات الاقتصادية والاجتماعية خلال النصف من القرن الماضي ، إلا انه لا يوجد لحد الآن تعريف موحد ومستقر لهذا المصطلح ،غير أن هذا لا ينفي وجود درجة عالية من التشابه في التعريفات المستخدمة والتي تنظر اغلبها إلى رأس المال البشري باعتباره " مجموعة من المهارات والقدرات والإمكانات والخبرات التي يكتسبها الفرد وتمكنه من المشاركة في الحياة الاقتصادية واكتساب الدخل والتي يمكن تحسينها من خلال الاستثمار في التعليم والصحة والتدريب وغيرها من أشكال الاستثمار في رأس المال البشري الأخرى . ومن التعريفات واسعة الانتشار لمصطلح رأس المال البشري ،ذلك التعريف الذي تتبناه منظمة اليونيسيف التي ترى بأنه المخزون الذي تملكه دوله ما من السكان الأصحاء المتعلمين الأكفاء والمنتجين والذي يعد عاملا رئيسيا في تقدير إمكانياتها من حيث النمو الاقتصادي والتنمية البشرية. أيضا التعريف الذي يتبناه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بأنه كل ما يزيد من إنتاجية العمال الموظفين من خلال المهارات المعرفية والتقنية التي يكتسبونها أي من خلال العلم والخبرة .[٢]

ثانياً:- رأس المال البشري في إطار نظرية النمو الداخلي

عرفت نظرية النمو الاقتصادي تطورا هائلا ، وذلك على يد مجموعة من الاقتصاديين باختلاف توجهاتهم وأيديولوجياتهم انطلاقا من المدرسة الكلاسيكية متمثلا بآدم سميثA .Smith وريكاردو(Ricardo) ومالثوس(Malthus)، وقد تلتها بعد ذلك بعض المحاولات الجريئة الاخرى ،التي استعملت فيها النماذج الرياضية على نطاق واسع وأول هذه النماذج قدمت من طرف كل

من (1928)Ramsey و(1928) Young و (1943) Schumpeter بالإضافة إلى كل من Harold (1939) و(1947)Dommar.[٣]

في ظل الانتقادات الموجه وخاصة النموذجين الأخيرين ظهر نموذج أكثر تحليلا مقدما من قبل الباحث(النيو كلاسيكي) (R.SOLOW) كان هدف البحث عن أسباب الاختلافات بين الدول في درجة الغنى والفقر ، لكن هذا النموذج رغم فائدته التحليلية التي قدمها لنظرية النمو الاقتصادي لعقدين زمنيين أو أكثر ، الا انه افرز عن بعض السلبيات التي جعلت معظم الاقتصاديين يشككون في صحة تحليلاته ومن بين تلك المسائل التي تؤخذ عليه مسألة تناقص معدل النمو في المدى الطويل ، وهذا الأخير ناتج عن فرضية تناقص الإنتاجية الحدية التي اعتمد عليها سولو في بناء نموذجه والتي آخذها من أفكار المدرسة الكلاسيكية ، بالإضافة الى اعتبار التقدم التكنولوجي في نموذجه كمتغير خارجي . وهذه المشاكل التحليلية التي افرزها نموذج سولو حاول بعض الاقتصاديين الاستفادة منها في بناء نماذج أخرى أكثر تطورا وأكثر فائدة تحليلية وهي ما تعارف على تسميتها فيما بعد بـ "نماذج النمو الداخلي" .

أن الدافع الرئيس لنظرية النمو الحديثة هو الأداء الضعيف لنظرية التقليدين الجدد (Neoclassical) في تفسير مصادر النمو الاقتصادي طويل الأجل ، فالزيادة في مقدار الناتج القومي الإجمالي لا يمكن أن تفسر او تنسب كلها للعمل ورأس المال ، بل ينبغي أن تعزى إلى شيء ثالث يسمى بـ "التطور التقني او التقدم التكنولوجي " أو كما أطلق عليه علماء الاقتصاد مصطلح "بواقي سولو(SOLOW RESIDUAL)، فالنظرية (النيو كلاسيكية) غير قادرة على تفسير محددات التطور التقني لأنه حسب هذه النظرية هو مستقل كليا عن القرارات الاقتصادية أي بمثابة عنصر خارجي ، وان تفسيرات معدلات النمو بينت أن هناك جزءا هاما من مقدار النمو يبقى دون تفسير بواسطة العوامل التقليدية (العمل ورأس المال)، فإذا كان التطور التقني هو العنصر الذي يعزى إليه الجزء غير المفسر وان مقداره ثابت في جميع أنحاء العالم ،فان الدول النامية سوف تلحق بالدول المتقدمة وهو ما يعرف بخاصية "التقارب" (Convergence). إلا أن الواقع خلاف ذلك ، فالكثير من الدول النامية لم تحقق التطور المطلوب ، كما أن التطور التقني ليس هبه من السماء كما يدعي سولو ، فالنظرية الحديثة للنمو تمدنا بالإطار التحليلي للنمو الداخلي ، والذي يتحدد بالنظام الذي يحكم عملية الإنتاج وليس عن قوى خارج النظام

الإنتاجي ، كما ان المبدأ الرئيس المحرك لنظرية النمو الحديثة هو تفسير كل اختلافات معدلات النمو بين البلدان ، وبصفة ادق فان نظرية النمو الحديثة تبحث عن تفسير العوامل التي تحدد حجم ومعدل نمو الناتج القومي الإجمالي الذي لم يفسره نموذج سولو (بواقي سولو) .

وقد كانت هناك عدة محاولات في هذا المجال قام بها مجموعة من الاقتصاديين من أمثال بول رومر (Paul Romer) ويركز أبحاثه في هذا المجال على البحث والتطوير (R & D) ،أما لوكاس(Lucas) فقد ركز على رأس المال البشري في بناء نموذجه ، في حين ركز روبرت بارو(Barro & Rebert)على البنى التحتية والنفقات العمومية ، وركزAghion – Howitt على التجديد التكنولوجي، وركز البعض الآخر على الانفتاح الاقتصادي ودوره في النمو ، ولا تزال نظرية النمو الداخلي قيد التطوير هذا وبقدر تعلق الأمر في موضوع البحث فإننا سنركز على احد أول نماذج النمو الداخلي وأكثرها بساطة والتي يكون فيها للسياسات الاقتصادية دور وانعكاسات على النمو في المدى الطويل، ذلك النموذج المعروف بـ(AK) من خلال دمجه مع نموذج (Jones).

أن نماذج النمو الداخلي وعلى رأسها نموذج (AK) جاءت لتعالج المشكل في نماذج النمو(النيو كلاسيكية) أي مشكلة تناقص الإنتاجية الحدية لرأس المال وبالتالي انخفاض النمو الاقتصادي، وعلية لتفادي هذه المشكلة يفترض نموذج (AK) إلغاء فرضية تناقص الإنتاجية الحدية أي أن (a =1)، ودالة الإنتاج المعتمدة في نموذج (AK) تأخذ الشكل الخطي البسيط التالي:[٤] .

$$\mathbf{Y} = \boldsymbol{AK} \dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots (\mathbf{1})$$

حيث ان المعادلة (١) تبين ان الناتج القومي الإجمالي (Y) يعتمد على (A) التقدم التكنولوجي كمتغير داخلي ، بالإضافة الى رأس المال المادي والبشري المعبر عنه بـ (K) .

إذن (K) كما في المعادلة (٢) تتكون من شقين : الأول رأس المال البشري وهو (Ht) ، أما الشق الثاني فيمثل رأس المال المادي أي تكوين رأس المال الثابت وهو (Kt) .

$$\mathbf{K} = \boldsymbol{f}(\boldsymbol{Ht}, \boldsymbol{Kt}) \dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots (\mathbf{2})$$

وفقا لنموذج Jones تمثل (Ht) رأس المال البشري الكلي الداخل في إنتاج السلع ، وهو رأس المال البشري للفرد (ht) مضروب بعدد العمال الحاصلين على التعليم بمراحله المختلفة (Lt) كما في المعادلة (٣) .

$$\mathbf{Ht} = \boldsymbol{ht} \,.\, \boldsymbol{Lt} \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots (3)$$

أن رأس المال البشري للفرد (ht) يتكون بعد أن يقوم أي فرد بتخصيص وقت معين (S) لغرض الدراسة أو التدريب لاكتساب المهارة والخبرة . وان هذا التدريب والتأهيل سيؤدي إلى مردود مادي معين (r) ، أي أن رأس المال البشري للفرد ينمو بمعدل آسي ثابت كما في المعادلة (4) .

$$\boldsymbol{ht} = \boldsymbol{e}^{\boldsymbol{r}\,.\boldsymbol{s}} \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots (\mathbf{4})$$

بناءً على إحدى الدراسات السابقة والتي حصلت على المردود المادي بمعدل (٤.٨%) ، وان نوعية وجودة التأهيل تعتمد على الوقت المخصص للتعليم كمعدل في العراق هو (٤.٥) سنة ، لنفس السنة التي تم احتساب معدل العائد على التعليم كما سبق . وفقا للدراسة التي أجراها (بنجيب واسبيجل).[٥] .

وان (Lt) هي قوة العمل المتعلمة في العراق ، كما في المعادلة (٥) .

$$\mathbf{Lt} = \boldsymbol{f}(\boldsymbol{St} + \boldsymbol{Wt} + \boldsymbol{Ct} + \boldsymbol{Ut}) \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots (\mathbf{5})$$

حيث ان :

(St) : تمثل الحاصلين على التعليم الثانوي من (١٥) فأكثر .

(Wt) : تمثل الحاصلين على التعليم المهني من (١٥) فأكثر .

(Ct) : تمثل الحاصلين على التعليم في المعاهد من (١٨) فأكثر .

(Ut) : تمثل الحاصلين على التعليم الجامعي (الدراسات الأولية والعليا) من (١٨) فأكثر .

وتم الحصول على البيانات من (المجاميع الإحصائية) الصادرة من وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي بأعداد مختلفة خلال سنوات الدراسة (١٩٩٠ –٢٠١٣) .

أما (Kt) فإنها تمثل رأس المال المادي (تكوين رأس المال الثابت) ، وتم الحصول عليها ايضا من (المجاميع الإحصائية) الصادرة من وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي. بأعداد مختلفة خلال سنوات الدراسة (١٩٩٠ -٢٠١٣)

وتمثل المعادلة (٦) التقدم التكنولوجي كمتغير داخلي :

$$\mathbf{A} = \frac{\boldsymbol{Y}}{\boldsymbol{K}} \dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots\dots(6)$$

الجدول (١) يمثل حصيلة العمليات الرياضية للمعادلات السابقة .

الجدول (١) الناتج المحلي الإجمالي ورأس المال المادي والبشري والتقدم التكنولوجي في العراق للسنوات (١٩٩٠ – ٢٠١٣)

مليون دينار

السنوات	GDP	Kt	Lt	$e^{r} * s^{ht}$ =	Ht =ht * Lt	K^{*}=Kt+Ht	A=GDP/ K^{*}
١٩٩٠	٣٦١٩٧.٧	٦٢٢٠	١٢٩٧	١.٠٢١٨	١.٣٢٥	٦٢٢١.٣٢	٥.٨١٨
١٩٩١	٣٢٥٦٦.٩	٢٣٠٠	١٢٨٢	١.٠٢١٨	١.٣٠٩	٢٣٠١.٣٠	١٤.١٥١
١٩٩٢	٤٩٤٥٩.٢	١٠٧٨٢.٣	١٣٠٦	١.٠٢١٨	١.٣٣٤	١٠٧٨٣.٦٣	٤.٥٨٦
١٩٩٣	١٢٤٤٧٩.١	١٦٢٦٠.٧	١٣٤٢	١.٠٢١٨	١.٣٧١	١٦٢٦٢.٠٧	٧.٦٥٤
١٩٩٤	٦١٦١٩٨.٤	٤٨٠٤٤.٤	١٣٢٤	١.٠٢١٨	١.٣٥٢	٤٨٠٤٥.٧٥	١٢.٨٢٥
١٩٩٥	١٩٤٠٩٩٤.٢	١١٥٨٦٧.٧	١٣٤٢	١.٠٢١٨	١.٣٧١	١١٥٨٦٩.٠٧	١٦.٧٥١
١٩٩٦	٢٢١٩٢٩٤.٨	٤٧٧٤٧	١٣٨٦	١.٠٢١٨	١.٤١٦	٤٧٧٤٨.٤١	٤٦.٤٧٨
١٩٩٧	٣٣٦٣٥٧١.٥	٤٤١٨٣	١٤١٣	١.٠٢١٨	١.٤٤٤	٤٤١٤٨.٤٩	٧٦.١٢٥
١٩٩٨	٤٧٣١٤٨٢.٧	١٧٢٨٨٤.٥	١٣٨٢	١.٠٢١٨	١.٤١٢	١٧٢٨٨٥.٩١	٢٧.٢١٩
١٩٩٩	٦٤١١٤٣٣.١	٢٣٥٥٤٧.٣	١٤١٥	١.٠٢١٨	١.٤٤٥	٢٣٥٥٤٨.٧	٢٧.٢١٩
٢٠٠٠	٧٥٢٣٨٠٧.٣	٥٣٩٣٢٢	١٤٢٩	١.٠٢١٨	١.٤٦٠	٥٣٩٣٢٣.٤٦	١٣.٩٥٠
٢٠٠١	٤١٣١٤٥٦٨.٥	٢٥٣١٤٤١	١٤٥١	١.٠٢١٨	١.٤٨٢	٢٥٣١٤٤٢.٣	١٦.٣٢٠
٢٠٠٢	٤١٠٢٢٩٢٧.٤	٢١٩٩٠٧٧	١٥٢٨	١.٠٢١٨	١.٥٦١	٢١٩٩٠٧٨.٢	١٨.٦٥٤
٢٠٠٣	٢٩٥٨٥٧٨٨.٦	١٩٦٧٥١٢	١٤٥٣	١.٠٢١٨	١.٤٨٤	١٩٦٧٥١٣.٤	١٥.٠٣٧
٢٠٠٤	٤٧٩٥٨٥٤٥.٦	٢٨٥٧٨٠٧	٣١٤	١.٠٢١٨	١.٣٢٠	٢٨٥٧٨٠٧.٣	١٦.٧٨١
٢٠٠٥	١٠١٨٢٣٦٤.٣	١٠١٨٢٣٦٢	٢٠٨٣	١.٠٢١٨	٢.١٢٨	١٠١٨٢٣٦٤.٣	٦.٢٨٥
٢٠٠٦	١٦٩١١١٥٦.٦	١٦٩١١١٥٥	١٩٧٩	١.٠٢١٨	٢.٠٢١	١٦٩١١١٥٦.٦	٧.٣٥١
٢٠٠٧	٧٥٣٠٤٠٦.٣	٧٥٣٠٤٠٤	١٩٥٠	١.٠٢١٨	١.٩٩٢	٧٥٣٠٤٠٦.٣	١٩.٥٠٤
٢٠٠٨	٢٣٢٤٠٥٤١.١	٢٣٢٤٠٥٣٩	١٩٩٥	١.٠٢١٨	٢.٠٣٨	٢٣٢٤٠٥٤١.١	٨.١٧٠
٢٠٠٩	١٤٩٥٠٢٤٤.٠	١٤٩٥٠٢٤٢	٢١٠٦	١.٠٢١٨	٢.١٥٢	١٤٩٥٠٢٤٤.٠	١١.١٣٣
٢٠١٠	٢٦٢٥٢٧٧٩	٢٦٢٥٢٧٧٧	٢١٨٨	١.٠٢١٨	٢.٢٣٥	٢٦٢٥٢٧٧٩	٨.٠٤١
٢٠١١	٣٧٢٥٥٢٧١.٦	٣٧٢٥٥٢٦٩	٢١٧٣	١.٠٢١٨	٢.٢٢٠	٣٧٢٥٥٢٧١.٦	٧.٥٥١
٢٠١٢	٣٥٤٤٦١٨٠.٥	٣٥٤٤٦١٧٨	٢٢١٨	١.٠٢١٨	٢.٢٦٦	٣٥٤٤٦١٨٠.٥	٦.٩١٧
٢٠١٣	٣٨٥٩٩٩٥.٦	٣٨٥٧٧٨١٢	٢١٩٥	١.٠٢١٨	٢.٢٤٢	٣٨٥٧٧٨١٤.٢	٧.٤٥٦

المصدر :

١- GDP، Kt ،Lt: وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، المجموعة الإحصائية السنوية ، الجهاز المركزي للإحصاء ، سنوات مختلفة .

٢- ht ، Ht ، K^*، A : احتسبت من قبل الباحثان وفقا لنموذج AK & Jones

اولاً / في مفهوم هجرة الكفاءات العلمية:

كان للآثار السلبية المترتبة على هجرة الكفاءات العلمية على البلدان النامية الهدف الاساس والرئيس للاهتمام بظاهرة الهجرة الدولية، وبشكل خاص في ظل تفاقم هذه الظاهرة كونها اصبحت لا تشمل الافراد ذوي المهارات القليلة والمتوسطة، بل اصبحت تشمل الكفاءات والعقول التي تشكل اساس التقدم والنمو في اي بلد من البلدان[٦].

وعادة ما يطلق على جميع المهاجرين المدربين تدريباً عالياً من بلدانهم الأم الى البلدان الاخرى بمصطلح هجرة الكفاءات او هجرة العقول او نزيف العقول او النقل العكسي او المعكوس للتكنولوجيا(وهو مفهوم جديد جاء ليحل محل مفهوم هجرة العقول* عام ١٩٧٤ من قبل منظمة الامم المتحدة للتجارة والتنمية اذ ان هجرة العقول هي فعلاً نقل مباشر لاحد اهم عناصر الانتاج الا وهو العنصر البشري)، وعادة ما يصف تحركات الافراد ذوي المهارات العالية عبر حدود الدول واستقرارهم خارج بلدانهم لفترة زمنية طويلة بهجرة العقول او الكفاءات، هذا وينظر لهجرة الكفاءات وفقاً لدراسات (UNCTAD) على انها نقلاً للموارد الانتاجية من البلدان النامية الى البلدان المتقدمة، اذ تتمثل الموارد الانتاجية بالأفراد الذين حصلوا على المعرفة والمهارات من خلال الاستثمار في التعليم والتدريب، وعلى هذا الاساس فان النقل المعكوس للتكنولوجيا يشكل نقلاً من جانب واحد للموارد الانتاجية مما يسبب آثار اقتصادية سلبية خطيرة[٧]، يضاف الى ذلك فان الامم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) تعرف هجرة الكفاءات بانه نوع شاذ من انواع التبادل العلمي بين البلدان يتسم بالتدفق في اتجاه واحد (باتجاه البلدان المتقدمة) وهو ما يعرف كما اشرنا بالنقل العكسي للتكنولوجيا والذي يعد نقل مباشر لاحد عناصر الانتاج الا وهو العنصر البشري .

تاريخياً، فان مصطلح هجرة العقول ظهر في بريطانيا عندما قامت الصحافة البريطانية بأطلاقه نتيجة هجرة العقول او الكفاءات العلمية والتي اجتاحت بريطانيا في اربعينيات القرن الماضي، اذ هاجر الاطباء والمهندسين والعلماء من بريطانيا الى الولايات المتحدة الامريكية عقب الحرب العالمية الثانية، وبعد ان قامت الولايات المتحدة الامريكية بتصنيف المهاجرين والتعرف على اعدادهم والدوافع المتعلقة بهجرتهم امكن تحديد مفهوماً للكفاءات العلمية[٨].

حيث بينت احدى الدراسات ان اعداد المهاجرين من الكفاءات العربية الى الولايات المتحدة والمقيمين فيها عام ١٩٨٣ ما يقارب (١٠٠) الف شخص وارتفع في عام ٢٠٠٠ الى

(٣٥٣) الف شخص ،وربحت الولايات المتحدة (١٠٠) الف عالم وصاحب كفاءة بما مقداره (٤) مليار دولار من تكاليف تعليمهم التي انفقت في بلدانهم ، وقد يعادل هذا المبلغ مجموع المبالغ التي تدفعها الولايات المتحدة الى كل دول العالم بحجة مساعدات اقتصادية وسياسية[٩] وعلى هذا الاساس يمكن ان تعرف على انها هجرة الافراد من ذوي الكفاءات العلمية العالية الى البلدان الاخرى التي يرى فيها المهاجر مكاناً لتلبية طموحاته العلمية. ويمكن القول الى ان هناك العديد من الاسباب التي تتداخل فيما بينها لتشكل دافعاً لهذه الكفاءات من جهة وجاذباً لها من جهة اخرى واهم هذه العوامل[١٠]:

١- عوامل دفع الكفاءات العلمية الى الخارج:

- ضعف المردودات المادية لإصحاب الكفاءات العلمية فعلى سبيل المثال لا الحصر تدني الرواتب او المدفوعات التي يحصل عليها اصحاب الكفاءات الامر الذي يدفعهم بهدف تحسين الاوضاع المعيشية لهم.
- النظام التعليمي الذي يتسم بعدم التوازن، فضلاً عن عدم الارتباط بين انظمة التعليم ومشاريع التنمية في البلد.
- حالات عدم الاستقرار سواء كان الامني او السياسي او حتى الاجتماعي والتي تدفع الكفاءات باتجاه الهجرة الى خارج بلدانهم.
- البيروقراطية الادارية وبعض التشريعات والتعهدات والتي تعد من العوامل الموضوعية التي تربك عمل اصحاب الكفاءات العلمية.

٢- عوامل جذب الكفاءات العلمية في الخارج:

بسبب ظروف الحرب عانت الكفاءات العلمية اسوةً ببقية المجتمع من الحيف والاهمال والانهيار في المستوى المعاشي بالإضافة الى التهديد والاغتيال الذي تصاعدت وتيرته مع الاحتلال الامريكي ، فأصبحت الهجرة متنافساً لها من شظف العيش ، و خنق الحريات وتداعي البنى التحتية والجامعات والمراكز العلمية ، خلال عقد السبعينات سادت اجواء الازمة وبداية الحرب والنزاعات على السلطة ، فادت الى ضعف الامن وظهور الهجرة الخارجية ، في عام ١٩٦٥ يقدر عدد المهاجرين العراقيين بنحو(٤.١) الف مواطن وكان(٧٣%) منهم الى دولة الكويت لأجل العمل ، وان (١٠%) توجهت الى بلدان عربية أخرى[١١]

خلال المدة(١٩٦٦-١٩٦٩) كان عدد المهاجرين من الكفاءات يقدر (٤.٣)الف شخص منهم (٢٥٤) شخص في كندا ، ونحو (٤.٢) الف شخص هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية ، في عام ١٩٧٤قدر ان(٥٠%) من حملة الشهادات الجامعية في العراق قد

هاجروا الى الخارج ، فضلا عن ارتفاع عدد الطلبة العراقيين الذين درسوا في الجامعات الامريكية والاوربية ولم يعودوا لبلادهم(١٢)

- مناخ الاستقرار والتقدم الذي تتمتع به البلدان الجاذبة للكفاءات العلمية فضلاً عن الريادة في المجالات العلمية والتكنولوجية.
- توافر فرص العمل الهامة والمجزية والتي توفر الثروات المادية الضخمة والتي تعمل على تحسين المستوى المعيشي للكفاءات العلمية.
- ظروف العمل المتمثلة بتهيئة المناخ العلمي الاكثر تقدماً والذي يساعد على مواكبة البحث والتطوير ومن ثم زيادة الخبرات وبما يحقق الطموحات العلمية.
- العوامل المهنية، اذ يتعلق الامر بمحيط جاذب في البلدان المتقدمة، فهناك امكانات مستقبلية في الترقي في العمل ومن ثم الوصول الى فرص جديدة، كما ان هذه العوامل تكون مدعمة بعوامل اخرى ذات طابع شخصي كالحوافز في الاجور وانظمة الترقي والفرص المتاحة فضلاً عن انظمة ضمان اجتماعي جداً متطورة.

يضاف الى ذلك الى ان هناك دراسات اجراها البنك الدولي والتي تبين في ان هجرة الكفاءات يمكن ان تؤدي الى خلق حلقة مفرغة في البلدان، الامر الذي يجعل هذه البلدان تحقق مستوى من التوازن غير مرغوب فيه يصاحب ذلك انخفاض مستويات راس المال البشري فضلاً عن فجوة كبيرة في التكنولوجيا، وبالتالي تساعد هجرة الكفاءات البلدان الغنية على ان تصبح اكثر غنى وعلى حساب البلدان الفقيرة(١٣). كما ويمكن ان تصنف الهجرة الى عدة تصنيفات، فمنها تصنيفات عامة كالهجرة الداخلية والهجرة الخارجية، وقد تكون الهجرة خاصة من حيث الاسباب والدوافع كان تكون اختيارية التي تندرج ضمن التطلعات نحو الافضل، وهجرة اجبارية التي تندرج ضمن القوة الخارجة عن ارادة الافراد، او من حيث امد الهجرة فهناك هجرة دائمة تعني الهجرة دون العودة وهي الاكثر خطورة، وهجرة مؤقته بهدف التحصيل العلمي او تحسين المستوى المعيشي.

ثانياً / هجرة الكفاءات العراقية... متى بدأت

ان اهدار راس المال العلمي والمعرفي والفكري والذي يأخذ اشكال وصور متعددة انما يشكل ابتعاد عن الركب الحضاري الذي تسعى جميع الدول للبلوغ في مصافه. غير ان العراق شهد نزيفاً متواصلاً للكفاءات والعقول العلمية وعلى مدى عقود طويلة من الزمن وشمل جميع الاختصاصات العلمية وعلى هذا الاساس جاء النزيف الدائم للكفاءات العراقية على ثلاثة صور(١٤):

الاولى/ التي تتمثل بالنزيف الخارجي والذي يأخذ صورة هجرة الكفاءات من البلدان النامية الى البلدان المتقدمة وهذا يمثل اكثر الصور شيوعاً في البلدان المختلفة.
الثانية/ ما يعرف بالنزيف الداخلي والذي يعني ميل بعض العقول والكفاءات العلمية للعيش على هامش الحياة، فيكون هدف العلم ليس من اجل تطوير سبل الحياة او ابتكار المعالجات المناسبة بهدف تسخيرها لصالح المجتمع علمياً. مما يعني القضاء على الروح الابداعية والمنتج العقلي للخبرات العلمية في ذات الانسان.
الثالثة/ الذي يأتي نتيجة اخفاق البلدان النامية للاهتمام بكفاءاتها وعقولها العلمية وهذا يعود الى اسباب عديدة، ولعل اهم هذه الاسباب عدم الاهتمام بقيمة العلم ومحتواه ومن ثم ادراك مخرجاته مما يعني القضاء على التواصل الابداعي وعقول الكفاءات العلمية مما يضطرهم للهجرة الى بلدان العالم المتقدم.

يضاف الى ذلك الى ان دراسات عديدة اشارت الى حجم هجرة الكفاءات في دول العالم المختلفة ولعل اهم هذه الدراسات ما اشارت اليه الدراسة المقدمة الى المؤتمر العالمي للعلوم والذي انعقد في عام ١٩٩٩ في مدينة بودابست الى وجود (٤٠٠٠٠٠) عالم ومهندس من البلدان النامية يعملون في البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في البلدان المتقدمة، بينما اشارت دراسة اخرى صادرة عن منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي (OECD) بوجود (٤٧٥٠٠٠) طالب في الولايات المتحدة الامريكية و (٢٢٣٠٠٠) في المملكة المتحدة البريطانية، بينما يوجد (١٧٨٠٠٠) و (١٠٥٠٠٠) طالب في المانيا واستراليا على التوالي[١٥].

تاريخياً، في العراق ومنذُ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ شهد البلد هجرة غير انها لم تكن كبيرة والسبب يعود الى ضعف دافع الهجرة فضلاً عن قلة اعداد الدارسين خارج البلد، وخلال العامين (١٩٢٢-١٩٢٣) بلغ مجموع البعثات العلمية في الخارج (٩) فقط بينما تم تسجيل عدد البعثات العلمية خلال العامين(١٩٤٦-١٩٤٧) بـ (٢٥٨) بعثة، بينما بلغ عدد البعثات في الخمسينيات بـ (٢٣٤) فقط، وبسبب التركيز على العلوم الانسانية والادبية خلال فترة الخمسينيات شهدت هذه الفترة هجرة لأعداد ليست بالقليلة الى البلدان المتقدمة وبطريقة الهجرة المباشرة، غير ان العراق شهد هجرة كبيرة جداً للكفاءات العلمية خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي وبالتحديد بعد غزو الكويت عام ١٩٩١ وما تبعها من حالة عدم الاستقرار فضلاً عن العقوبات الاقتصادية التي نتجت عن تلك الحرب، حيث توجهت اعداد من حاملي الشهادات العليا للعمل خارج العراق خاصة في البلدان العربية وبالتحديد في ليبيا اذ كانت نسبة الاستاذة الجامعيين مرتفعة جداً في جامعاتها، اما بعد عام ٢٠٠٣ وبعد الحرب التي شهدها العراق تزايد اعداد اللاجئين العراقيين فبلغ عددهم (٢) مليون لاجئ معظمهم تركز في سوريا والاردن ومصر

وتركيا وايران وعدد من دول الخليج العربي، وهنا تجدر الاشارة الى ان قطاعي الصحة والتعليم هما القطاعين الاكثر عرضه لهجرة كفاءاتها واذا ما خذنا هجرة الاطباء سنجد ان العراق يحتل المرتبة الخامسة عربياً في هجرة الاطباء من مجموع الاطباء في بلدانهم وهذا ما يظهر بوضوح في الجدول (٢) الذي يبين هجرة الاطباء في البلدان العربية:

جدول (٢) هجرة الاطباء من البلدان العربية

البلد	العراق	مصر	جيبوتي	البحرين	الجزائر	موريتانيا	ليبيا	لبنان	الكويت	الأردن
الأطباء المهاجرون	2871	7791	26	29	10860	43	800	3042	122	878
الأطباء % المكونين في البلاد	%١٨.٤	%٥.٤	%٢٣.٢	%٢.٨	%٤٤.٣	%١١.٤	%١٠.٦	%١٩	%٣.٤	%٨.٢
البلد	اليمن	فلسطين	الامارات	المغرب	تونس	سوريا	السودان	الصومال	السعودية	عمان
الأطباء المهاجرون	47	15	258	654	222	3966	1083	98	359	12
الأطباء % المكونين في البلاد	%١.٣	%٠.٧	%٣.٢	%٤.٧	%٣.٢	%١٥.٤	%١٧.٩	%٢١.٩	%١.٢	%٠.٤

المصدر: التقرير الاقليمي للهجرة الدولية العربية (الهجرة الدولية والتنمية)، ادارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، قطاع الشؤون الاجتماعية، جامعة الدول العربية، ٢٠١٤، ص٥٦.

يلاحظ من الجدول اعلاه ان العراق وكما اشرنا يحتل المرتبة الخامسة عربياً بعد كل من الجزائر ومصر وسوريا ولبنان وبواقع (٢٨٧١) طبيب مهاجر، وتجدر الاشارة الى ان هذه العدد يشكل ما نسبته (١٨%) من الاطباء المكونين في البلد.

بعد عام ٢٠٠٦ اصبح العراق ثاني بلد في اعداد اللاجئين بعد افغانستان[١٦] بعد ان كان العراق يحتل المرتبة السابعة عالمياً وهذا ما يوضحه الجدول (٢) الذي يبين اكبر (١٠) دول في اعداد اللاجئين النازحين منها في عام ٢٠٠٢، يضاف الى ذلك فان هناك اسباب عديدة ادت الى هجرة العقول العراقية ولعل اهمها[١٧]:

١- تدهور الوضع الامني: ان الوضع الأمني غير المستقر يعد احد اهم المشكلات التي تواجه الكفاءات العلمية، اذ لا يمكن الحفاظ عليها ومن ثم النهوض بواقع هذه الكفاءات ما لم يكن هنالك استقرار امنياً، وتجدر الاشارة الى ان الامن بمفهومه الواسع يشتمل على مجالين:

الاول/ التحرر من الاخطار والعواقب الناجمة عن الارهاب والعنف بجميع صوره وهو مجال ذو طبيعة سياسية وترتكب جرائمه بدوافع سياسية تستهدف اساساً المجتمع وسلامة المنشآت والمرافق

العامة والخاصة وتستلزم المواجه الناجحة للأخطار الناجمة عنه التسلح بوسائل سياسية أو انه يتطلب حلولاً سياسية بالدرجة الاولى.

الثاني/ التحرر من الآثار والأضرار الناجمة عن الجرائم الفردية أو المنظمة كالسرقات والنهب والعنف، وهي جرائم ذات طابع غير سياسي تتطلب مكافحتها ترسيخ حكم القانون.

جدول (٣) اكبر (١٠) دول من حيث اعداد اللاجئين النازحين منها عام ٢٠٠٢

البلد	اعداد اللاجئين النازحين (بالآلاف)
افغانستان	٢.٥٠٠
بروندي	٢.٢٥٠
السودان	٢.٠٠٠
انغولا	١.٧٥٠
الصومال	١.٥٠٠
جمهورية الكونغو الديمقراطية	١.٢٥٠
العراق	١.٠٠٠
البوسنة والهرسك	٧٥٠
فيتنام	٥٠٠
أريتيريا	٢٥٠

الجدول من اعداد الباحث بالاعتماد على:

عمر اسماعيل حسين، هجرة الكفاءات العراقية واثرها على الاقتصاد الوطني (١٩٩٠-٢٠٠٩)، الدائرة الاقتصادية، وزارة المالية، العراق، ٢٠١٢، ص٦٧.

يلاحظ من الجدول اعلاه ان العراق يحتل المرتبة السابعة عالمياً في اعداد اللاجئين النازحين وبمعدل (١) مليون لاجئ نازح، بينما اليوم يشهد العراق تزايداً في الهجرة والتي تشمل ضمنها الكفاءات العلمية، خاصة في ظل حالة عدم المبالاة تجاه هجرة الكفاءات.

٢- الاجور العالية المتوفرة في البلدان الجاذبة للكفاءات العراقية والتي لا تتوفر بالنسبة لأقرانهم في العراق، مما يعني انخفاض مستوى المعيشي لأصحاب الكفاءات العلمية.

٣- توفير المناخ العلمي للبحث والتطوير، وهو غير موجود في البلد الى حد ما بسبب عدم توفر سوقاً للبحث والتطوير ومن ثم عن استيعاب الطاقات الابداعية، ففي البلدان الجاذبة

للكفاءات والعقول العلمية ويتم توفير احدث الاجهزة والمعدات الحديثة لهم للقيام بالأبحاث العلمية المتطورة.

٤- البطالة : تعد السياسات الاقتصادية المتبعة في الاقتصاد العراقي ، لم تولد فرص عمل كافية لمواجهة البطالة ، اذ يشكل معدل النمو السكاني الذي يقدر (٣%) عبئاً على الاقتصاد ، بالإضافة الى ارتفاع معدل الخصوبة (٦.٥%) مواليد ، وهو من اعلى المعدلات العالمية ، مقارنة بمعدل النمو الاقتصادي الضعيف الذي يعتمد على ريعية الاقتصاد ، مما دفع نسبة ليست قليلة من الايدي العاملة الى الهجرة والبحث عن العمل ، مضافاً اليها عجز النظام التعليمي عن تزويد الطلاب بأنواع المهارات المطلوبة لوظائف القطاع الحكومي[١٨]

٥- الفقر : يعد الفقر من اخطر المشاكل الاقتصادية التي يتعرض لها المجتمع العراقي الذي يصيب نسبة كبيرة من المجتمع وتتمثل في الفقر في المستوى المعاشي و المستوى الصحي والتعليمي اي الحرمان من المعرفة ، وعدم القدرة على ممارسة الانسان لحقوقه ، بحيث تنعدم كرامة الانسان وثقة بنفسة مقارنة بمجتمعات اخرى فتكون سبب رئيس للهجرة من البلد[١٩]

ثالثاً / الآثار الاقتصادية المترتبة على هجرة الكفاءات العلمية:

تمثل هجرة الكفاءات احد اشكال التبادل العلمي الشاذ Scientific exchange وهو يمثل تدفق هجرة ذوي الكفاءة في اتجاه واحد ولصالح اكثر الدول تطوراً وتقدماً ، ويمكن ان تطلق على المهاجرين المتدربين علمياً والمتعلمين من حملة الشهادات العليا من بلدانهم الى بلدان اخرى [٢٠] وتقسم الهجرة بالاتجاه النمطي من البلدان النامية الى البلدان المتقدمة ، ومن البلدان الاقل تقدماً الى البلدان الاكثر تقدماً والتي تتبارى في تقديم الامتيازات في جذب المهاجرين وبصورة انتقائية ، وتؤثر هجرة الكفاءات على مسيرة التطور والتنمية الاقتصادية وتؤدي الهجرة في الاجل الطويل الى تخفيض الرصيد المعرفي ، ومن ثم الناتج المحلي الاجمالي في الدول المهاجر منها ،هجرة الكفاءات يزيد من حدة انعدام التوازن بين البلدان النامية والبلدان المتقدمة، اذ ان كلفة هذه الهجرة لدول المصدر تتمثل في انها تمثل عملية استنزاف لمورد اساسي ومهم من موارد التنمية، فكثير من البلدان تفوقت حضارياً بسبب النجاح الذي حققته في مجال استثمار راس المال البشري في الوقت الذي فشلت فيه الموارد الطبيعية في تحويل البشر الى شعوب منتجة اذا لم يتم استغلالها من اجل ذلك، كما ان ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية تكتسب اهميتها في ظل تزايد اعداد المهاجرين خاصة من الملاكات العلمية المتخصصة مما يترك ذلك اثراً اقتصادياً كبيراً، وعلى هذا الاساس يمكن بيان اهم الاثار الاقتصادية المترتبة على هجرة الكفاءات والعقول بما يلي[٢١]:

١- ان هجرة الكفاءات العلمية تؤدي الى تقليص حجم الايدي العاملة المؤهلة والكفوءة التي يحتاجها البلد وبشكل كبير من اجل تامين تنمية بشرية ذاتية ومستدامة، فتجميع العقول من

خلال جذب الافراد الاكثر كفاءة يؤدي الى زيادة حجم الهوة بين البلد والبلدان المتقدمة، فضياع راس المال البشري بسبب هجرة الايدي العاملة الكفوءة والمؤهلة يؤدي الى تقليص حجم الانتاجية ومن ثم انخفاض الدخل الفردي والنمو الاقتصادي لبلدان المصدر.

٢- ان الاستثمار في راس المال البشري يتضمن تكاليف كبيرة يتحملها البلد والمتمثلة بالنفقات التي يتحملها البلد بهدف تكوين واعداد وتدريب الافراد، فهجرتها تمثل خسائر كبيرة في الاموال نتيجة هذه التكاليف، تلك الخسائر المتأتية في هدر الاموال الكبيرة على الافراد الذين نالوا هذه الكفاءات المتقدمة فراس المال المصروف يمثل خسارة كبيرة بالنسبة للاقتصاد الوطني، فضلاً عن فقدان الطاقات الانتاجية والعلمية في الوقت الذي يكون فيها البلد الام بأمس الحاجة لها.

٣- كثيراً ما تضطر البلدان التي شهدت هجرة لكفاءاتها العلمية الى دفع مبالغ كبيرة للخبراء الاجانب من اجل تعويض الكفاءات التي غادرت البلد وبهدف سد النقص الذي حصل في الكفاءات العلمية، وهذا يعني ان هذه البلدان تشهد من جانب هجره لعقولها العلمية ومن جانب اخر تتحمل تكاليف كبيرة من اجل جلب الخبراء الدوليين.

٤- تؤدي هجرة الكفاءات العلمية الى توسع الهوة بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية فهجرة الكفاءات تعطي للبلدان المتقدمة فوائد اقتصادية كبيرة ومباشرة بينما تشكل في المقابل خسائر اقتصادية كبيرة للبلدان التي شهدت هجرة للكفاءات العلمية خاصة وان الاختراعات التي ابتدعها او اسهم في ابتداعها تعد ملكاً للبلدان الجاذبة للكفاءات في حين تحرم بلدانهم من الاستفادة من هذه النتاجات العلمية والفكرية.

٥- تؤدي هجرة الكفاءات من البلدان النامية الى تكريس مبدأ التبعية للبلدان المتقدمة خاصة في ظل الاعتماد المتزايد على التكنولوجيا المستوردة، فضلاً عن الاندماج في سياسات تعليمية غير متوافقة مع خطط التنمية.

٦- إن قيمة أي فرد من الأفراد تمثل خبراته وقدراته الكامنة مع الأخذ بنظر الاعتبار ندرة موهبته الخاصة والطلب الفعلي على هذا النوع من المهارات التي يمتلكها حيث يوصف راس المال البشري بأنه احد الموارد في اقتصاد يقوم على المعرفة، خلافا للمفاهيم التقليدية للعمل وقيمته النسبية بوصفه احد عوامل الإنتاج، وان أولوية أ رس المال البشري تقود إلى "صراع عالمي حول الموهوبين" وكنتيجة لهذا التوجه سوف تبدأ الأصول المادية بفقدان قيمتها كأصول مضمونة، بينما يصبح راس المال البشري غير المادي ذا قيمة ربحية.

٧- فقدان مساهمة الكفاءات العلمية في عملية التنمية الاقتصادية، ان فقدان المساهمات المحتملة للكفاءات المهاجرة في تحقيق عملية التغيير الاجتماعي التي هي اساس عملية

التنمية، و خاصة ان هذه المساهمة لا تبلغ أقصى حدود فعاليتها الا بتكامل ادوار فئة الكفاءات، حيث ان الإنتاجية الاجتماعية لفئة الكفاءات هي اكبر من مجمل الإنتاجية الفردية.

رابعاً / امكانيات الحد من هجرة الكفاءات العراقية

ان المخاطر الناتجة عن هجرة الكفاءات العلمية العراقية تستدعي ضرورة العمل في ايجاد حلول من شأنها الحد من هذه الظاهرة لحين العمل على ايقافها، فالأعداد الكبيرة من الكفاءات العلمية العراقية المهاجرة التي تعمل في البلدان المتقدمة تتطلب وضع بعض الحلول التي من شانها معالجة هذه المشكلة وبهدف توظيف هذه الكفاءات في العراق، فهذه الاعداد الكبيرة من الكفاءات والعقول التي يتم استثمارها في بلدان المهجر انما تعد خسارة كبيرة للعراق في الوقت الذي يحتاج فيه العراق لهذه الكفاءات لبناء العراق ومن ثم النهوض بواقع العراق وعلى هذا الاساس وبشكل عام ترى العديد من الدراسات الى ان هناك معيارين اساسيين من شأنهما الحد من هذه الظاهرة وهي[٢١]:

الاول/ يتمحور حول مدى الالتزام المطلوب من طرفي المشكلة وهما البلدان الجاذبة للكفاءات العلمية والبلدان الام الت شهدت هجرة هذه الكفاءات، سواء كان التزاماً منفرداً من قبل البلد الام او التزاماً وتعاوناً بينهما، خاصة ويجب ان لا تعلق البلدان الام امالاً كبيرة على تخلي البلدان المتقدمة طواعية في اهم سياسة من سياساتها المتمثلة في اجتذاب الكفاءات العلمية وافضلها.

الثاني/ يتمثل بالسياسات التي تنتهجها البلدان التي تشهد هجرة الكفاءات والعقول وهي اما ان تكون سياسات الهدف منها يكون مثالياً يدور حول تكريس شعار القضاء على هذه الظاهرة نهائياً، واما ان تكزن سياسات متواضعة من شانها العمل في الحد من هذه الظاهرة، او سياسات انهزامية ترى في هجرة الكفاءات العلمية واقعاً لابد من الاستسلام له مع السعي للحصول على بعض المكاسب.

ان الحل الامثل لهذه المشكلة يكمن في وضع استراتيجية متكاملة للتصدي لها، وذلك من خلال الاستفادة من المنظمات الدولية كمنظمة اليونسكو وغيرها من المنظمات التي تمتلك خبرات ودراسات في هذا المجال فضلاً عن مراجعة تجارب البلدان المختلفة التي تعاملت مع هذه الظاهرة بهدف الحد منها، وهنا يمكن التأكيد على:

١- ضرورة العمل على وضع البرامج الوطنية الكفيلة بالحد من هذه الظاهرة من خلال انشاء مراكز للبحوث والدراسات التنموية والعلمية والتعاون مع الهيئات الدولية والاقليمية لإصدار الوثائق والانظمة التي تنظم اوضاع المهاجرين من اصحاب الكفاءات العلمية.

٢- العمل على استيعاب اصحاب الكفاءات المهاجرة من خلال ازالة جميع العوائق التي تقف امام عودتهم ومنحهم الحوافز المادية.

٣- ملاحظة تجارب البلدان التي تعاملت مع هذه المشكلة، عالمياً كتجربة الصين مثلاً التي جعلت من الارتقاء بالتعليم العالي اسبقية اولى من اهداف الثورة العلمية التربوية، وذلك من خلال رسم خطة علمية على مدى (١٢) عاماً بين عام (١٩٥٥-١٩٦٧) استهدفت تخريج (١٠٥٠٠) عالم و (٢) مليون فني، خاصة وانها ركزت على فكرة التخصصات او ما يعرف بالإتقان الفني، كذلك الحال بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية التي تعد النموذج الثاني بعد الصين فاتبعت سياسات عديدة منها تقديم القروض للطلبة الاذكياء والمتفوقين بهدف الاهتمام بهذه الفئة وتوجيهها التوجيه العلمي والتربوي في المجالات التكنولوجية، فضلاً عن تقديم المساعدات للمؤسسات والهيئات العلمية والتربوية بهدف تحسين وتطوير البرامج التربوية والعلمية في الولايات المتحدة الامريكية[١٢]، اما عربياً فقد عمدت بلدان عربية عديدة للتعامل مع هذه المشكلة ومنها المغرب التي وضعت استراتيجيات عديدة خاصة بتعبئة الكفاءات، وتشجيع اطار للشراكة بين الجمعيات المغربية المقامة بالخارج ومثيلاتها المحلية في المغرب بهدف اقامة مشاريع التنمية المحلية في المغرب، كذلك الحال في تونس التي يتوافر لديها العديد من المؤسسات التي تهتم بالتواصل مع التونسيين في الخارج، فضلاً عن انشاءها للجنة ربط الصلة بالكفاءات التونسية بالخارج للقيام بالعديد من الانشطة التي من شأنها تعريف رجال الاعمال بالخارج بآخر المستجدات والفرص والحوافز وكذلك فرص الاستثمار المتاحة وافكار المشاريع القابلة للإنجاز[٢٣].

٤- توفير المناخ العلمي الذي يلائم ورغبة الكفاءات العلمية ومن خلال تشجيع الجامعات المبدعين على تسجيل براءات الاختراع بهدف ضمان حقوقهم الابداعية والتطويرية وينم ذلك من خلال توفير احدث الاجهزة والمعدات التقنية للقيام بالأبحاث العلمية المتطورة[٢٤].

٥- ما اشارت اليه دراسات عديدة في امكانية وضع اجراءات كفيلة للقضاء على هذه الظاهرة او التقليص منها او ايجاد بديل لها وترى ان هناك نموذجين[٢٥]:

- الاول ويسمى بالنموذج المكلف، والذي يحتاج الى قدرات مالية كبيرة كونه يتطلب ايجاد ظروف مشابهه لظروف البلدان الاخرى التي هاجرت لها الكفاءات العلمية، اذ يتضمن تنظيم عودة الكفاءات من البلدان المتقدمة الى البلدان الام، وفي هذا المجال هناك تجارب ناجحة خاصة في بلدان جنوب شرق اسيا، وبالتحديد كوريا الجنوبية وتايوان، والهدف هنا يكمن في استرجاع الاستثمار الذي بُذل في تكوين هذه الكفاءات فضلاً عن القيمة المضافة المتمثلة بالخبرات التي تم اكتسابها في بلدان المهجر، غير ان نجاح هذا النموذج يتطلب عدد من

الشروط، فكوريا الجنوبية وتايوان استطاع كل منهما ان يحققا نمواً مطرداً مكنهما من تحقيق تنمية اقتصادية ارتكزت في مضامينها الاساسية على سياسة طوعية في مجالات البحث والتطوير الامر الذي ادى الى توفير المناخ المناسب لعودة الكثير من النخب العلمية المهاجرة.

- ❖ النموذج الثاني او النموذج الواقعي، الذي يهدف الى جعل الكفاءات العلمية مفيدة لبلدانها الام انطلاقاً من بلدان المهجر الذي تقيم فيه، وهناك بلدان عديدة طبقت هذا النموذج ومنها كولومبيا، وفي هذا النموذج لا تعتبر عودة الكفاءات العلمية شرطاً ضرورياً، وفي المقابل يقوم البلد الام بأنشاء شبكة من الباحثين المهاجرين بهدف تعبئة جميع الكفاءات حول هذه الظاهرة هذا من جانب، ومن جانب اخر ارساء روابط مع البلد الام للمساهمة في تحقيق تنمية اقتصادية وتقنية وعلمية انطلاقاً من بلدان المهجر التي تحتضن هذه الكفاءات، وبسبب كون هذه النخبة المهاجرة تسيطر وتتحكم في زمام علوم التكنولوجيا، بالتالي ستتيح لمجتمع العلماء في بلدانها الام من التواصل الدائم والمواكبة للتطورات العلمية في البلدان المتقدمة، وعلى هذا الاساس يمكن ملاحظة ان النموذج الثاني هو الاكثر تطبيقاً في البلدان الام خاصة في ظل القيود التي تواجهها هذه البلدان وهنا ينبغي تعزيز كيفية جذب لتحفيز عودة الكفاءات مادياً ومعنوياً من خلال تطبيق سياسة حقيقية لتشجيع البحث والتطوير ويتم ذلك بتطوير مراكز الابحاث والمعاهد وتجهيز كل منها براس المال البشري والوسائل التقنية الكافية وتوسيع التفاعل بين عالم البحث والاعمال.

٦- التأكيد على مشروع التواصل مع الكفاءات العراقية** في الخارج والذي تم طرحه من قبل وزارة الهجرة والمهجرين العراقية، الذي يهدف الى رسم صورة واضحة عن واقع الكفاءات العراقية في الخارج ورغباتهم وطموحهم والبيئة التي يطمحون ان تتوفر لهم في بلدهم للمساهمة في بناء العراق، وقد استطاعت وزارة الهجرة والمهجرين من استحصال امتيازات كثيرة وذلك من خلال قرار مجلس الوزراء المرقم (٤٤١) لعام ٢٠٠٨، فضلاً عن توصيات اللجنة المشكلة بالأمر الديواني المرقم (٣٩) لعام ٢٠١٠، اذ كان من ضمن هذه الامتيازات اعادة التعيين، وتوظيف الكفاءات وتسجيل الزوجات والولادات واكمال الدراسة ونقل الاثاث والامتعة والاعفاء من الرسوم الجمركية، بالإضافة الى ذلك فقد اخذت الوزارة على عاتقها مخاطبة الوزارات ذات العلاقة بهدف تحديد احتياجاتهم من الاختصاصات لتهيئة فرص مناسبة للكفاءات[٢٦].وحسب آخر احصائية لوزارة الهجرة والمهجرين فان النخب والكفاءات العلمية التي عادت الى البلد من بلدان المهجر بلغت (٣٤٨٢) كفاءة علمية عائدة ومسجلة لدى الوزارة وان اعلى نسبة من الكفاءات العائدة كانت من حملة شهادة الدكتوراه وبنسبة

(٤٨%) اي ما يعادل (١٦٧٩) كفاءةً يليها حملة شهادة الماجستير بنسبة ٤٣% اي ما يعادل (١٤٨٨) كفاءةً فيما حظيت شهادة الدبلوم العالي بالمرتبة الاخيرة من حامليها بنسبة (٩%) اي ما يعادل (٣١٥) كفاءة.

الاستنتاجات والتوصيات:

اولاً: الاستنتاجات:

١- تعد ظاهرة الهجرة بشكل عام امراً طبيعياً يرتبط منذُ الازل بحركة الفرد باتجاه البلدان تتوفر فيها فرص العمل وترتفع فيها الانتاجية، والهدف الاساسي هو تحسين المستوى المعيشي له والرغبة في الانجاز والتميز.

٢- في ظل الهدف المتمثل ببناء ملاكات علمية رصينة بالنسبة للبلدان المختلفة تصبح دراسة ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية من الضرورات من اجل تحديد ابعادها الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء.

٣- ان عدم توفر البيئة المناسبة للكفاءات العلمية يعد احد اهم الاسباب التي ادت الى استفحال هذه الظاهرة، فضلاً عن اسباب اخرى سياسية واقتصادية وامنية واجتماعية تشكل في مجملها معوقات امام عودة الكفاءات العلمية.

٤- شهد العراق هجرة كبيرة للكفاءات العلمية وعلى فترات مختلفة كانت اكثرها خلال فترة التسعينيات بسبب حالة عدم الاستقرار السياسي فضلاً عن احداث عام ٢٠٠٣ وما تبعها من تدهور امني ساعد على ارتفاع اعداد المهاجرين العراقيين.

٥- عدم توفر البيانات الدقيقة عن اعداد الكفاءات العلمية المهاجرة انما يعكس وبشكل كبير عدم اعطاء اهمية كبيرة لهذه الظاهرة التي اصبحت هاجساً لجميع البلدان بضمنها العراق.

٦- الاهتمام بالعنصر البشري في البلدان المتقدمة وبدرجة كبيرة بينما يحصل العكس في البلدان النامية يزيد من حجم الفجوة بين البلدان المتقدمة والنامية في مجالات عديدة ولعل اهم هذه المجالات مجالات التنمية الاقتصادية كونها تتوقف وبدرجة كبيرة على تطوير العنصر البشري.

٧- بهدف معالجة هذه الظاهرة تجارب عديدة ولعل اهمها تجربة الصين وتجربة الولايات المتحدة الامريكية، فضلاً عن تجارب عربية اخرى كما في المغرب وتونس.

التوصيات:

١- ضرورة العمل على تعزيز قنوات الاتصال بين الكفاءات العلمية المهاجرة وبلدانهم الام ويتم ذلك عن طريق اقامة العديد من الندوات والمؤتمرات لاكاديميين في جامعات مختلفة.

٢- ضرورة ان يكون هناك ملائمة بين التعليم والتطورات التكنولوجية، كون ذلك يساهم وبشكل كبير في اكتشاف المهارات الفنية ومن ثم ايجاد نوعيات جديدة من الملاكات العلمية التي تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية للبلد.

٣- ينبغي على الحكومة ان تضع برامج وسياسات واعداد الخطط الانمائية الوطنية التي من شانها ان تجعل من ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية مكسباً لها وليس خسارة واستنزاف لها، وان تكون هذه البرامج والسياسات اداة لاستقطاب اصحاب الكفاءات العلمية عن طريق تقديم الحوافز المادية والمعنوية لهم او من خلال توفير مناخ افضل للبحث العلمي والتطويري.

٤- ضرورة ان تكون هناك قاعدة بيانات لأعداد الكفاءات العلمية المهاجرة بهدف معرفة اوضاعها ولتسهيل عملية التواصل معهم وبما يضمن اتخاذ الاجراءات الكفيلة لعودتهم، وفي هذا الصدد يجب ان يكون هناك تعاوناً دولياً فيما يخص تبادل المعلومات الاحصائية بين البلد الام وبلدان المهجر المختلفة.

٥- ضرورة العمل على بحث الاسباب الدافعة لهجرة الكفاءات العلمية وبشكل خاص الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية وحتى الامنية مع ضرورة العمل على توفير المستلزمات الضرورية لها وبكافة الجوانب الاجتماعية كالإسكان الآمن وغيرها، او العلمية منها بتوفير مناخ البحث العلمي المناسب لها.

٦- رفع مستوى التعليم الجامعي في مجالات البحث العلمي والسياسات التقنية مع ضرورة توفير الاقتصاد لسوقاً فعالة للبحث والتطوير وبما يضمن استيعاب الطاقات العلمية والابداعية في البلد.

٧- ضرورة العمل على سن القوانين والتشريعات التي تنظم عملية هجرة الكفاءات العلمية وبما يساهم من تقليل الهدر (الاقتصادي والاجتماعي) الناتج عن هجرة هذه الكفاءات.

المصادر حسب ورودها في البحث:

١-اشرف العربي ، رأس المال البشري في مصر :المفهوم – القياس – الوضع النسبي ، مجلة بحوث اقتصادية عربية ، العدد (٣٩) ، السنة الرابعة عشر ، صيف ٢٠٠٧ .

٢-عبادي عبد القادر ، لعريفي عودة ، مؤشرات قياس رأس المال البشري في الجزائر ، ٢٠١٢، ٦٥ متاح على الموقع www.iefpedia.com

٣-علي عبد القادر علي ، أسس العلاقة بين التعليم وسوق العمل وقياس عوائد الاستثمار البشري ، معهد التخطيط العربي ، الكويت ، ٢٠٠٤

٤-البشير، عبد الكريم،(٢٠٠٦)، دلالات معدل البطالة والعمالة ومصداقيتها في تفسير فعالية سوق العمل، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا، العدد السادس، ١٤.

٥-علي، علي عبد القادر ،(٢٠٠٤) ، أسس العلاقة بين التعليم وسوق العمل وقياس عوائد الاستثمار البشري ،الكويت ،المعهد العربي للتخطيط والتنمية ، ٣١.

٦-فاطمة مانع، هجرة الكفاءات العلمية وآثارها على التنمية الاقتصادية في البلدان النامية، الملتقى الدولي الخامس حول راس المال الفكري في منظمات الاعمال العربية في ظل الاقتصادات الحديثة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة حسيبة بن بو علي شلف، الجزائر، للفترة ١٣-١٤ ديسمبر، ٢٠١١، ص٣.

*** حسب معيار مستوى التعليم يمكن التمييز بين نوعين من الهجرة هما هجرة العقول او هجرة الكفاءات والتي اشرنا اليها في متن البحث والنوع الاخر هجرة العمالة، واهم اختلاف بين هذين النوعين ان من يدخل ضمن هجرة العقول يكون حاصلاً على درجة جامعية بينما تشتمل هجرة العمالة على العمالة نصف الماهرة او غير الماهرة التي تعمل في مجالات الصناعة والزراعة والخدمات او القطاع غير المنظم. انظر في ذلك :**

- اميرة مُحَمَّد عمارة، هجرة العقول واثرها في النمو الاقتصادي في مصر، مجلة بحوث اقتصادية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، العددان ٦٣-٦٤، بيروت، صيف- خريف ٢٠١٣، ص٩.

٧-اميرة مُحَمَّد عمارة، هجرة العقول واثرها في النمو الاقتصادي في مصر، نفس مصدر ، ص٩.

٨-فاطمة مانع، هجرة الكفاءات العلمية وآثارها على التنمية الاقتصادية في البلدان النامية، مصدر سابق ، ص٥.

٩–فهد العربي الحارثي ، العرب ليس عقلاً (عن الهجرة والنزوح)، دراسة منشورة على الموقع الالكتروني لمركز اسيا للدراسات والبحوث والاعلام التالي:

http://www.asbar.com

١٠– انظر في ذلك:

– ميسون زكي، استراتيجيات التنمية البشرية ودورها في الحد من ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية في فلسطين (دراسة حالة قطاع غزة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة، الجامعة الاسلامية، فلسطين، ٢٠١٢، ص١٠.

– هجرة العقول العربية، بحث منشور على شبكة المعلومات العالمية على الرابط:

repository.nauss.edu.sa/bitstream/.../هجرة العقول العربية.1...pdf?

١١– هاشم نعمه ، هجرة العراقيين وتأثيراتها على البنية السكانية ، دراسة منشورة على الموقع الالكتروني: www.ahewar.org/de show .art.asp ? aid=2272

١٢– عبد الوهاب مُحَمَّد رشيد ، مستقبل العراق والفرص الضائعة والخيارات المتاحة ، الطبعة الاولى ، دمشق، دار المدى للطباعة ،١٩٩٧، ٧٩.

١٣– اميرة مُحَمَّد عمارة، هجرة العقول واثرها في النمو الاقتصادي في مصر، مصدر سابق، ص١٥.

١٤– حسن المحمداوي، هجرة الكفاءات بين الماضي والحاضر، مقال منشور على شبكة المعلومات العالمية على الرابط: http://www.alhakeem-iraq.net/print.php?id=58 ، ص٢.

١٥– حسن المحمداوي، هجرة الكفاءات بين الماضي والحاضر، نفس المصدر، ص٣.

١٦– عمر اسماعيل حسين، هجرة الكفاءات العراقية واثرها على الاقتصاد الوطني (١٩٩٠–٢٠٠٩)، الدائرة الاقتصادية، وزارة المالية، العراق، ٢٠١٢، ص ١٦.

١٧– مهدي الحافظ، الآن والغد (مقالات في الاقتصاد والسياسة) ٢٠٠٣–٢٠٠٨، شركة المنجد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٢٤.

١٨– ادوارد جاردنر ، مطلوب مزيد من الوظائف ،مجلة التمويل والتنمية ، المجلد ٤٠ ، العدد ١ ،مارس ٢٠٠٣ ، ١٩.

١٩- محمود عبد الشفيع عيسى ، نظرا اساسية الى الفقر وتوزيع الدخل في المجتمع العربي (اطار منهجي للسياسات ومقاربة كمية) مجلة بحوث اقتصادية عربية ، العدد ٤٦، ربيع ٢٠٠٩ ، ٣٠.

٢٠- ابراهيم اسماعيل الملكاوي ، الكفاءات المهاجرة ، اشكالية قديمة متجددة ، مجلة شؤون استراتيجية الاردنية ، السنة السادسة ، العدد١٨ ، ٢٠٠٧ ، ١٤٠.

٢١- انظر في ذلك:

- الهجرة الدولية والتنمية في شمال افريقيا، اللجنة الاقتصادية لأفريقيا ، مكتب شمال افريقيا، الامم المتحدة، ص٤١.
- ميسون زكي فوجو، استراتيجيات التنمية البشرية ودورها في الحد من ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية في فلسطين (دراسة حالة قطاع غزة)، ٢٠١٢، ص٣٣.
- محمود سعدي الوالي، هجرة الكفاءات العلمية المصرية... نزيف اقتصادي مستمر، الحوار المتمدن، ٢٠١٤/٨/٣١.

٢٢- ميسون زكي فوجو، استراتيجيات التنمية البشرية ودورها في الحد من ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية في فلسطين (دراسة حالة قطاع غزة)، مصدر سابق، ص٣٣.

٢٣- عمر اسماعيل حسين، هجرة الكفاءات العراقية واثرها على الاقتصاد الوطني (١٩٩٠-٢٠٠٩)، مصدر سابق، ص٤٥.

٢٤- التقرير الاقليمي للهجرة الدولية العربية (الهجرة الدولية والتنمية)، ادارة السياسات السكانية والمغتربين والهجرة، قطاع الشؤون الاجتماعية، جامعة الدول العربية، ٢٠١٤، ص٧٤.

٢٥- نادر عبد الغفور احمد، العقول العراقية المهاجرة بين الاستنزاف والاستثمار دراسة تحليلية لهجرة العقول العراقية المفكرة وكيفية استثمارها لخدمة عراق المستقبل، بحث منشور على شبكة المعلومات العالمية على الرابط: https://www.google.iq/search?q

٢٦- الهجرة الدولية والتنمية في شمال افريقيا، مكتب شمال افريقيا، اللجنة الاقتصادية لأفريقيا، الامم المتحدة، ٢٠٠٧، ص٥٢.

** تم استحداث قسم الكفاءات في دائرة شؤون الهجرة التابع لوزارة الهجرة والمهجرين، والذي يعد الجهة المتخصصة التي تتبنى عملية تسهيل والتنسيق مع الجهات ذات الصلة لتامين تنفيذ المقترحات ومنح الامتيازات واعداد وتحضير التقارير الوصفية التي تعالج او تبحث قضايا تهم فئة

الكفاءات العائدة و تتمحور خطة الكفاءات حول(انسيابية عودة الكفاءات) حيث أسست القوانين والقرارات التي اقرها مجلس الوزراء كالقرار (٤٤١) والامر الديواني (٣٩) لعودة امنة لشريحة الكفاءات.